مناسبات شهر صفر

على كلّ مؤمن أن يتعامل مع شهر صفر بما يتناسب مع المناسبات الأليمة التي وقعت فيه، وأعظمها على البشريّة عبر الأجيال، الفجيعة الأعظم بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ بتخليص المؤمن نفسه من الرواسب الأمويّة، التي ظلّت آثارها حاضرة بأشكالٍ مختلفة، لأنّ الطواغيت الذين أداروا دفّة الحُكم بعد الأمويّين، كانوا يشاركونهم هدف "قريش" الأوّل، وهو الحُكم باسم رسول الله صلى الله عليه وآله من دون الالتزام بما جاء به من عند الله، ومَنع أهل البيت عليهم السلام من تسلّم الحُكم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرِّياسة، وسُلّماً إلى العزّ والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً..».

وقد عملت الإمبراطوريّة الأمويّة على نشر ثقافة أنّ محرّم وصفر موسم فرح وسرور. وقد حَمَلَ الأمويّين على ذلك حقد قريش و"دار الندوة" على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل البيت عليهم السلام، فقد واصل آل أبي سفيان، وبالاستقواء بالخارج، الخُطط القرشيّة نفسها التي كان يقودها أبو سفيان، إلاّ أنّها كانت هذه المرّة تُنفَّذ عبر التظاهر بالإسلام. والشعارُ دائماً هو ما رفعه معاوية مع مَن طالبه بتخفيف الوطأة في التنكيل بأهل البيت: لا والله، إلاّ دَفْناً دَفْنا!!

أبرز أيّام الله في صفر

- وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله سنة ١١ للهجرة.
- شهادة الإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠ للهجرة.
- ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام.
- رجوع بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام من رحلة السبي من كربلاء إلى الكوفة، ثمّ إلى الشام.

ما يلي استعراض يوميّات صفر. ثمّ وقفة على الأعتاب المحمّديّة في ذكرى الفجيعة الأعظم بفَقْد سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله، تليها وقفة عند "يوم الزِّينة الفرعونيّ في الشام" في الأوّل من صفر.

يوميّات شهر صفر

اليوم الأوّل

* دخول "السبايا" من أهل البيت، ورؤوس الشهداء إلى الشام سنة ٦١ للهجرة.

كان بينهم: الإمام السجّاد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وزينب بنت عليّ بن أبي طالب، والإمام الباقر، محمد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب في حوالي الرابعة من عمره.

* ينقل السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) الأبيات التالية من قصيدة للشيخ حسن ابن الشيخ عبد الحسين صادق (١٣٠٥ - ١٣٨٧ هـ). يقول رحمه الله:

يا آل بيت محمّد أنا عبدكم ... قرّت بذلك إنْ قُبِلْتُ عيوني
بل عبد عبدكم وكلّ مشايع ... لكَم تولاّكم ولاء يقينِ
إنّي فُطِرت على محبّتكم وقد ... شابت بحمد الله فيه قروني
ما إن ذكرتُ مصابَكم وذكرتُ تنـ ... ـعابَ الغراب على ربى جيرونِ
وترنّمَ الطاغي يزيد وقولَه ... فلقد قضيتُ من النبيّ ديوني
إلاّ تخبّطني الأسى وتقرّحت ... منّي العيونُ وجُنّ فيه جنوني
أَتَعاقُبُ الأيام تنسيني وقوف ... عقائل للوحي بين يدي أخسّ لعينِ
حسرى كما شاء العدوّ قد ارتدت ... ثوب المذلّة ضافياً والهُونِ؟

***

حرب صِفّين سنة ٣٧ للهجرة

ما بين أعالي العراق وبلاد الشام تقع صِفّين، تلك البلدة التي خلّدها التاريخ، وخلّدت هي تاريخاً ظاهراً في حياة الأمّة العربيّة والخلافة الإسلاميّة، وألوان المذاهب الدينيّة والسياسيّة التي ولّدتها حرب صِفّين، ونشرت أطيافها في ربوع الدولة الإسلاميّة. تلك الحرب التي استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائة يوم وعشرة أيام، بلغت فيها الوقائع تسعين وقعة في ما يذكر المؤرّخون. كانت حرباً ضروساً أوشكت أن تفني المسلمين.

(من مقدمة كتاب وقعة صفّين).

موقع صفّين بين الكوفة ودمشق

و"صِفّين: بكسرتين وتشديد الفاء، "‥" وهو موضع بقرب الرَّقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربيّ بين الرَّقة وبالس، وكانت وقعة صِفّين بين عليّ عليه السلام ومعاوية في سنة ٣٧ هـ في غرّة صفر، واختُلف في عدّة أصحاب كلّ واحد من الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان عليّ في تسعين ألفاً، وقيل: كان عليّ في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً، وهذا أصح. وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقُتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابياً بدْرياً، وكانت مدّة المقام بصِفّين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة، وقد أكثرت الشعراء من وصف صِفّين في أشعارهم ..".

(الحموي، معجم البلدان)

وقال الحموي في مكان آخر: حَبيس: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وسين مُهملة: موضع بالرّقة فيه قبور قوم شهداء مِمّن شهد صِفّين مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي كتاب (وقعة صِفّين) لنصر بن مزاحم المنقري (ت:٢١٢) ـ وهو أبرز ما كُتب حول وقعة صِفّين ـ يقول المنقري:

"وأُصيب بصِفّين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، وأُصيب بها من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً".

شهادة زيد بن علي سنة ١٢١ للهجرة

* عن الإمام الرضا عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «**رَحِم الله عمّي زيداً أنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لَوَفى بما دعا إليه. ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ، إن رضيتَ أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك. فلمّا ولّى قال جعفر بن محمّد** عليه السلام: **وَيْلٌ لِمن سمع واعيتَه فلم يُجبه**».

فقال المأمون: يا أبا الحسن، أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: «**إنّ زيد بن عليّ** عليه السلام **لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أَتقى لله من ذاك. إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد. وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه، ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير عِلم. وكان زيْد والله مِمّن خوطب بهذه الآية:** ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده، هو اجتباكم..﴾».

* قال المرجع الدينيّ الشيخ السبحاني: "الزيديّة، وهم أتباع زيْد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عدلوا عن إمامة الإمام الباقر عليه السلام إلى إمامة أخيه زَيْد، وهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة سلام الله عليها ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنّهم جوّزوا أن يكون كلّ فاطميٍّ عالمٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج بالإمامة، إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين عليهما السلام، ولمّا قُتل زيدُ بن عليّ وصُلب سنة ١٢١ هـ، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيْد، ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام بأنّه يُقتل كما قُتل أبوه ويُصلب كما صُلب أبوه.

فجرى عليه الأمر كما أُخبر في سنة ١٢٦هـ، وقد فوّض الأمر بعده إلى محمّد وإبراهيم اللذين خرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليه وقُتل أيضاً. فزيْد بن عليّ قُتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيْد قُتل بجوزجان خراسان، قتله أميرها، ومحمّد الإمام قُتل بالمدينة، قتله عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قُتل بالبصرة، أمر بقتله المنصور. والزيديّة أصناف ثلاثة: الجارودية، والسليمانيّة، والبتريّة. والصالحيّة منهم والبتريّة على مذهب واحد. والجارودية: أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر ..".

اليوم السابع

* شهادة الإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠ للهجرة.

"اللّهمّ صلِّ على الحسن بن عليّ إمام المسلمين ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على مَن ظلمه".

(أنظر الملف من هذا العدد).

ولادة الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٢٨ للهجرة.

* "اللّهمّ صلِّ على موسى بن جعفر، إمام المسلمين، ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على مَن ظلمه، وشَرِكَ في دمه".

* باب الحوائج إلى الله تعالى، وسابع الأئمّة الإثني عشر، "كلّهم تُجمع عليهم الأمّة" و"كلّهم من قريش"، ورابع الأئمّة من ذريّة الحسين "المعوَّض من شهادته بأنّ الأئمّة من عترته أو ذريّته".

به حَفظ الله تعالى الذكر في مرحلة هي من أشدّ مراحل تاريخ الإسلام حساسيّة من حيث سِعة الانتشار، وترامي أطراف الدولة الإسلاميّة، وتعقيد المشهد الثقافيّ- العقديّ، في زمن "هارون" المُسمّى بـ"الرشيد".

* أمضى الإمام الكاظم عليه السلام حوالي أربعة عشر عاماً في سجون الطاغية العباسيّ، الذي كان يعلم عِلم اليقين بمنزلة أهل البيت عليهم السلام، والإمام الكاظم بالخصوص، إلاّ أنّ "المُلك عقيم"، كما قال لابنه المأمون: "لو نازعْتَني فيه لأخذت الذي فيه عيناك".

اليوم الثامن

* وفاة الصحابي سلمان الفارسيّ في المدائن سنة ٣٥ للهجرة.

اليوم التاسع

* شهادة الصحابي عمّار بن ياسر في صِفّين سنة ٣٧ للهجرة.
* معركة النهروان سنة ٣٨ للهجرة.

اليوم السابع عشر

* شهادة الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣ للهجرة.

اليوم العشرون

* يوم أربعين سيد الشهداء عليه السلام . (أنظر تحقيق هذا العدد)
* وصول موكب السبايا إلى المدينة المنوَّرة سنة ٦١ للهجرة (على رواية).

اليوم الخامس والعشرون

* وفاة السيدة مريم بنت عمران عليهما السلام (على رواية).

اليوم السادس والعشرون

* شهادة النبيّ يحيى بن زكريا عليهما السلام (على رواية).

اليوم الثامن والعشرون

* وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله سنة ١١ للهجرة.
* قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «**ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلّماً إلى العزّ والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدّت في حافرتها..**».

(أنظر آخر يوميّات صفر: الفجيعة الأعظم).

* شهادة الإمام الحسن عليه السلام (على رواية) سنة ٥٠ للهجرة.

"اللّهمّ صلِّ على الحسن بن عليّ إمام المسلمين ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على من ظلمه". (أنظر الملف من هذا العدد).

آخر صفر (٢٩ أو ٣٠)

* شهادة الإمام الرضا عليه السلام (على رواية) سنة ٢٠٣ للهجرة.

ملاحظة:

بعض الوقائع يتكرّر ذكرها في أكثر من تاريخ، ويرجع ذلك إلى تعدّد الروايات حول تاريخ حدوثها، مثل تاريخ معركة صفّين، أو زواج أمير المؤمنين من الزهراء عليهما السلام، أو مواليد المعصومين ووفيّاتهم، وغير ذلك من المناسبات الإسلاميّة، فاقتضت الإشارة.

من حجّة الوداع إلى الوفاة

بين حجّة الوداع ويوم الغدير وبين الوفاة، ثلاثة أشهر.
قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة:
كان يوم الغدير بعد حجّة الوداع، ولم يبقَ النبيّ صلى الله عليه وآله بعده إلاّ أقلّ من ثلاثة أشهر. يدلّ ذلك على أنّ أحداث السقيفة كانت على مقربة من «يوم الغدير»، وهذا ما يفسِّر قول الصدِّيقة الكبرى عليها السلام لصحابيٍّ رآها تزور قبر الحمزة عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله: «سرعان ما نسيتم يوم الغدير».
ما يلي مختصر في أبرز الحوادث التي وقعت بين الوداع وإلى خطبة الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد النبويّ، بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعشرة أيام:

الفجيعة الأعظم

في الثامن والعشرين من صفر، تتجدّد ذكرى أعظم فجيعة بفقد سيّد الأوّلين والآخرين، سرّ الخلق، وقُطب دائرة الوجود النبيّ الأعظم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.
نرفع آيات العزاء إلى آخر أوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله، المهديّ المنتظَر عليه السلام، وإلى الأمّة الإسلاميّة جمعاء.

روى الطبري عمّن عاصر ظروف وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: ".. بلغَنا الخبر بوجع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ بلغَنا أنّ مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأنّ الأسود قد غلب على اليمن، فلم يلبث إلاّ قليلاً، حتى ادّعى طليحة النبوّة وعسكر بسميراء، واتّبعه العوام، واستكثف أمره وبعث حبال ابن أخيه إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يدعوه إلى الموادعة، ويخبره خبره، وقد حاربهم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بالرُّسل، فأرسل إلى نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن يحاولوه، وأمرهم أن يستنجِدوا رجالاً قد سمّاهم من بني تميم وقيس، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ففعلوا ذلك. وانقطعت سبُل المرتدّة، واشتغلوا في أنفسهم، فأصيب الأسود في حياة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. وقبل وفاته بيوم أو بليلة ولظَّ طليحةَ ومسيلمةَ وأشباهَهم بالرُّسل (أكثر من إرسال الرُّسل بشأنهم)، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله عزّ وجلّ والذَّبّ عن دينه".

وإنّي سائلكم عن الثَّقَلَين، فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما

المفيد في الإرشاد: عندما تحقّق صلى الله عليه وآله من دنوّ أجله، وكّد ما كان قدّم الذكر به لأمّته، فجعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصاتهم بالتمسّك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته، والطاعة لهم، والنصرة، والحراسة، والاعتصام بهم في الدّين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد. وكان في ما ذكره من ذلك، ما جاءت به الرواية على اتفاق واجتماع من قوله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الناس، إنّي فَرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض. ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما، فإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه. ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ولا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تُقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. أيّها الناس، لا أُلفِيَنّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيْل الجرّار. ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يُقاتِل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله».

أنفِذوا أسامة، لعن الله من تخلّف عنه

قال المفيد: ثم إنّه صلى الله عليه وآله عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم. واجتمع رأيه صلى الله عليه وآله على إخراج جماعة من مقدّمي (متقدّمي) المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرياسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتبّ الأمر لِمَن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع. فعقد له الإمرة على ما ذكرناه، وجدّ صلى الله عليه وآله في إخراجهم. وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف،

وحثّ الناس على الخروج إليه والمسير معه، وحذّرهم من التلوُّم والإبطاء عنه.

فبينما هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفّي فيها.

يستغفر لأهل البقيع طويلاً

فلمّا أحسّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد عليّ عليه السلام، واتّبعه جماعة من الناس وتوجّه إلى البقيع، فقال لِمن اتّبعه: «**إنّي قد أُمِرتُ بالاستغفار لأهل البقيع**»، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، وقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنّئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه الناس، أقبلت الفِتَن كَقِطع الليل المُظلم يتبع أوّلها آخرها**»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً. وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «**إنّ جبرائيل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة، وقد عرضه عليّ العام مرّتين، ولا أراه إلاّ لحضور أجلي**». "..." ثمّ عاد إلى منزله، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً.

سيكون بعدي اثنا عشر إماماً

قال الطوسي في كتاب (الغَيبة)، بسنده إلى الإمام الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكيّ الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن أَحْضِرْ صحيفة ودواة، فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّته، حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا عليّ، إنّه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، "..." فأنت يا عليّ أول الإثني عشر إماماً، سمّاك الله تعالى في سمائه عليّاً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدِّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون والمهديّ، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك، يا عليّ أنت وصيّي على أهل بيتي حيّهم وميّتهم "..." وأنت خليفتي على أمّتي من بعدي.

فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلى ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكيّ المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه سيّد العابدين ذي الثفنات عليّ، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمّد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه الثقة التقيّ، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمّد المستحفَظ من آل محمّد، فذلك اثنا عشر إماماً».

إنّي راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب
مَن افتقد الشمس فليتمسّك بالقمر

عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**معاشرَ الناس، إنّي راحل عن قريب ومنطلِق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإيّاكم والبِدَع، فإنّ كلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار. معاشرَ الناس، مَن افتقَد الشمس فليتمسّك بالقمر، ومن افتقَد القمر فليتمسّك بالفَرْقَدَيْن، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم**». قال: فلمّا نزل عن المنبر صلى الله عليه وآله تبعتُه حتى دخل بيت عائشة، فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله سمعتك تقول: "إذا افتقدتُم الشمس فتمسّكوا بالقمر، وإذا افتقدتُم القمر فتمسّكوا بالفرقدين، وإذا افتقدتُم الفرقدَين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة"، فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة؟ فقال: «**أنا الشمس، وعليّ القمر، والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسّكوا بعليٍّ بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسَّكوا بالحسن والحسين، وأمّا النجوم الزاهرة فهم الأئمّة التسعة من صلب الحسين، تاسعهم مهديُّهم**». ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «**إنّهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمّةٌ أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواريِّ عيسى**». قلت: فسمّهم لي يا رسول الله؟ قال: «**أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سِبْطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين، وبعده محمّد بن عليّ الباقر علم النبيّين، والصادق جعفر بن محمّد، وابنه كاظم سميُّ موسى بن عمران، والذي يُقتل بأرض الغربة ابنُه عليّ، ثمّ ابنه محمّد، والصادقان عليّ والحسن، والحجّة القائم المنتظر في غيبته، فإنّهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي وحُكمهم حُكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي**».

في المسجد معصوب الرأس:
حان منّي خفوق من بين أظهركم

ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين بيُمنى يديه، وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال: «**معاشرَ الناس، قد حان منّي خفوقٌ**

من بين أظهركم، فمَن كان له عندي عدّة فليأتني أعطه إيّاها، ومَن كان له عليَّ دَين فليخبرني به. معاشرَ الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً، أو يصرف عنه به شرّاً إلاّ العمل. أيّها الناس، لا يدَّعِ مُدّعٍ ولا يتمنَّ مُتَمنٍّ، والذي بَعثني بالحقّ نبيّاً لا يُنجي إلاّ عملٌ مع رحمة، ولو عَصيتُ لَهَوَيْتُ. أللّهمّ هل بلّغتُ؟»، ثم نزل فصلّى بالناس صلاة خفيفة، ثمّ دخل بيته وكان إذ ذاك بيت أم سلمة، فأقام به يوماً أو يومين. فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت أزواج النبي ﷺ في ذلك، فأَذِنَّ لها، فانتقل إلى البيت الذي أسكَنه عائشة.

وروى الطبري بِسَنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة أنّها قالت: تتامّ برسول الله ﷺ وجعه وهو يدور على نسائه وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يمرَّض في بيتي، فأذنّ له، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجلٌ آخر، تخطّ قدماه الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله: فحدثتُ بهذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال: هل تدري مَن الرجل؟ قلت لا، قال عليّ بن أبي طالب، ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع.

إلى المسجد في حالة شديدة من المرض والضعف

واستمرّ به المرض فيه أيّاماً وَثَقُل (اشتدّ به المرض)، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله ﷺ مغمورٌ في المرض، فنادى الصلاة رحمكم الله. فأوذن رسول الله ﷺ بندائه.

قال السيّد الأمين في (أعيان الشيعة): وهنا اختلفت الرواية، هل أمَر رسول الله ﷺ أحداً أن يصلّي بالناس أو لا؟ "..." ما لنا ولِما رواه هؤلاء المؤرِّخون المختلِفون في العقيدة، المختلِفون في النقل. فبعضٌ يروي أنّه لم يأمر أحداً بِعينه أصلاً، وبعض أنّه لم يأمر بذلك في أوّل الأمر، ثمّ أمر أبا بكر بعد ما سمع عمر يكبِّر، وأنّ الناس صلّوا الصبح مرّتين.

وبعض يروي أنّه أمر أبا بكر من أوّل الأمر، ما لنا ولهذه الأخبار المتناقِضة، لكنّنا نقول إنّهم اتفقوا جميعاً على أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى المسجد في حالة شديدة من المرض والضعف، حتى أنّه لا يكاد يستقلّ ولا ينقل قدميه، بل اعتمَد على رجلين ورجلاه تخطّان الأرض خطّاً، وصلّى جالساً...

ألم آمركم أن تُنفذوا جيش أسامة؟

قال المفيد: فلمّا سلّم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة مَن حضر بالمسجد مِن المسلمين، ثمّ قال: ألم آمُركُم أن تُنفِذوا جيش أسامة؟ فقالوا، بلى يا رسول الله. قال: فلِمَ تأخّرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إنّي خرجتُ ثمّ رجعتُ لأجدِّد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله إنّي لم أخرج لأنّي لم أحبّ أن أسأل عنك الركب. فقال النبيّ ﷺ: **أنفِذوا جيش أسامة! يُكرِّرها** ثلاث مرّات، ثمّ أُغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف. فمكث هنيهة مُغمىً عليه، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع مَن حضر من المسلمين.

دنا الفراق والمُنقَلَب إلى الله وإلى جنّة المأوى

عن ابن مسعود أنّه قال: نعى لنا نبيُّنا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء. فلمّا دنا الفراق، جمعنا في بيت أمّنا عائشة وتشدّد لنا فقال: «**مرحباً بكم، حيّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، أداكم [آواكم، هداكم] الله، وقاكم الله! أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، أستخلفه عليكم وأحذّركم الله إنّي لكم منه نذير مبين، ألاّ تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنّه قال لي: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾، وقال: ﴿أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين﴾**»

قلنا: يا رسول الله متى أجَلُك؟ قال: «**دنا الفِراق، والمُنقلب إلى الله، وإلى جنّة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوْفى والحظّ والعَيش المُهنّى!**».

قلنا: يا رسول الله مَن يُغسّلك؟ فقال: «**رجالٌ من أهلي الأدنى فالأدنى**». قلنا: يا رسول الله ففيمَ نُكفّنك؟ فقال: «**في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر، أو في حلّة يمانيّة**»، قال: قلنا يا رسول الله مَن يُصلّي عليك؟

وبكينا وبكى فقال: «**مهلاً رحمكم الله، وجزاكم عن نبيّكم خيراً، إذا أنتم غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عنّي ساعة، فإنّ أوّل مَن يصلّي عليّ حبيبي وخليلي جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثمّ ادخلوا فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنّة، وليبتدىء بالصلاة عليّ رجال أهلي، ثمّ نساؤهم، ثمّ أنتم بعد. واقرأوا السلام على مَن غاب من أصحابي، واقرأوا السلام على مَن تبِعني على ديني من قومي هذا إلى يوم القيامة!**». قلنا يا رسول الله فمَن يُدخلك قبرك؟ قال: «**أهلي مع ملائكة كثيرين، يرَونكم من حيث لا ترَونهم**».

إنّه يهجُر!!!

فأفاق رسول الله ﷺ، فنظر إليهم ثمّ قال: «**أئتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً**»، ثمّ أُغمي عليه. فقام

بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر: إرجع فإنّه يهجُر، فرجع. وندم مَن حضر على ما كان منهم من التضييع في إحضار الدواة والكتف، وتلاوَموا بينهم، وقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ. فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله؟ فقال: «**أَبَعدَ الذي قلتم؟ لا، ولكنّي أُوصيكم بأهلِ بيتي خيراً**». وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا.

الرزيَّة كلّ الرزيَّة

روى البخاري في الجزء الرابع من صحيحه في باب (قول المريض قوموا عنّي) عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس، قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب، قال النبيّ ﷺ: «**هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده**»، فقال عمر إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف الحاضرون فاختصموا. منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**». قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولَغَطِهم.

سكت الرواة عن الثالثة: نسوها أو أُنسوها؟

روى البخاري في الجزء الثالث من صحيحه في باب (مرض النبيّ ﷺ)، بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعُه، فقال: «**أئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا ما شأنه، أَهَجَر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه. فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه. وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد نحو ما كنتُ أجيزهم..**»، وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيتُها. ورواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله، إلاّ أنّه قال: لا تضلّوا بعدي وقال: فذهبوا يعيدون عليه، وقال: وسكت عن الثالثة عمداً أو قال فنسيتها. ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله، إلاّ أنّه قال: أئتوني بدواة وصحيفة، وقال فذهبوا يعيدون عليه، وقال: فسكت عن الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها، أو سكت عنها عمداً. قال السيّد الأمين في (أعيان الشيعة): والمتأمّل لا يكاد يشكّ في أنّ الثالثة سكت عنها المحدِّثون عمداً

لا نسياناً، وأنّ السياسة اضطرّتهم إلى السكوت عنها عمداً وتناسيها، وإنّها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم .

تاريخ الوفاة، والاختلاف فيه!

وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين على المشهور بين العلماء عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر عند أكثر الإماميّة، وقال الكُليني منهم: لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقال المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى سنة عشر من الهجرة، قال الطبري في تاريخه: لا خلاف بين أهل العلم بالأخبار أنه ﷺ قُبض يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، غير أنّه اختُلف فيه. فعن فقهاء أهل الحجاز أنّه قُبض نصف النهار يوم الإثنين، لليلتين مضتا من شهر ربيع. وقال الواقدي: توفّي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل. وروى ابن سعد في الطبقات أنّه ﷺ اشتكى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر، سنة إحدى عشرة، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة وتوفّي يوم الاثنين، لليلتين مضتا من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة. ثمّ روى أنّه اشتكى يوم الأربعاء، لليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة، وتوفّي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل. اهـ. وتُوفّي رسول الله ﷺ وعمره الشريف ثلاث وستون سنة. بُعِث وعمره أربعون، وأقام بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين.

من خطبة الصدّيقة الكبرى
فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعشرة أيام، ألقت الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، خطبتها المعروفة في المسجد النبويّ المبارك، فكانت هذه الخطبة، وما تزال، الوثيقة الإلهيّة النبويّة الكبرى في تحديد المسار للأجيال كلّها، الأمر الذي يحتّم على كلّ مسلم أن يُعنى بالوقوف طويلاً عند الرسائل المحمّديّة التي تضمّنتها.

ما يلي فقرات مختارة من هذه الخطبة المباركة:

«ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأُمَم فِرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار اللهُ بمحمّدٍ ظُلَمَها، وفرّج عن القلوب بهُمَها، وجلا عن الأبصار عَمَهها، وعن الأنفس غُممها. ثمّ قبضه الله إليه قبضَ رأفةٍ ورحمة، واختيارِ ورغبةٍ لِمحمّدٍ عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباءُ الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، أمينه على الوحي، وصفيّه ورضيّه، وخِيَرَتِه من خلقه ونجيّه، فعليه الصلاة والسلام، ورحمة الله وبركاته».

**

ثم قالت: «أنا فاطمة وأبي محمّد، أقولها عوداً على بدء، وما أقولُ إذ أقول سرفاً ولا شططاً، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨، إن تَعْزُوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، بلّغ النذارة صادعاً بالرسالة، ناكباً عن سُنن المشركين، ضارباً لأثباجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولّوا الدّبر، وحتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأتْ فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفُهْتُم بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها (..) تعبدون الأصنام، وتستقسِمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الأقدام، تشربون الرّنق، وتقتاتون القدّة، أذلّةً خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم.

فأنقذكم بنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي، وبعد ما مُنِيَ بِبُهم الرجال، وذؤبان العرب، ﴿..كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ..﴾ المائدة:٦٤، أو نجَم قرن الضلالة، أو فغرت

فاغرة المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بَلْهنيّة آمنون، وادعون فرحون، تتوكّفون الأخبار، وتنكِصون عند النّزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمّد صلّى الله عليه وآله عمود الدِّين، فلمّا اختار الله عزّ وجلّ له دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكةُ النّفاق، وانسمل جلباب الدِّين، وأخلق ثوبُه، ونحل عظمه، وأودت رُمّتُه، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم، وهدر فنيق الباطل يخطر في عَرَصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من معرسه صارخاً بكم، فألفاكم غضاباً، فخطمتم غير إبِلِكم، وأوردتموها غير شربكم بداراً، زعمتم خوف الفتنة، ﴿..أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التوبة:٤٩.

هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب، والجرح لمّا يندمل، فهيهات منكم، وأين بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجرُه لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بيّنة، وقد خالفتموه رغبةً عنه، فبئس للظالمين بدلاً، ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتُها، ويَسْلس قيادُها، تسرون حسواً بارتغاء، (..) ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، وزعمتم أنْ لا إرث لنا، أَفَحُكمَ الجاهلية تبغون، ﴿..وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:٥٠، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران:٨٥».

**

«معشرَ البقيّة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسِّنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة. أتقولون مات محمّد فخطب جليل، استوسع وهيُه، واستنهر فتقُه، وفُقد راتقُه، فأظلمَت الأرض لغيبته، واكتأب خيَرةُ الله لمصيبته، وأكْدَت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُذيلت الحرمة بموت محمّد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في أفنيتكم، ممساكم ومصبحكم هتافاً، و(من قبل) ما خلت له أنبياءُ الله ورسله، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ آل عمران:١٤٤.

**

ألا وقد قلتُ الذي قلتُ على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضةُ النفس، ونفثةُ الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحجّة، فدونكم فاحتقبوها دبرة الظهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ الهمزة:٧-٩.

فبعين الله ما تفعلون، ﴿..وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ الشعراء:٢٢٧، وأنا ابنة نذير لكم بين يديّ عذاب شديد، فاعملوا ﴿..إنّا عاملون * وانتظروا إنّا منتظرون﴾ هود:١٢١-١٢٢، ﴿..وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ الرعد:٤٢، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ..﴾ الإسراء:١٣، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٧-٨».

ثم ولّت، فأتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيّدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكّر للنّاس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت له بردنها: «إليك عني، فما جعل الله لأحدٍ بعد غدير خمّ من حُجّةٍ ولا عذر».

قال الراوي: فلم يُر باكٍ ولا باكية كان أكثر من ذلك اليوم، وارتجّت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات.

رأس "رسول الله" محمولاً على الرمح، في الشام!!
يوم الزِّينة الأمويّ - الفرعونيّ

كان دخول بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق من جهة الشمال عبر جبل جيرون، ممّا يؤكِّد ما ورد في بعض المصادر من أنّ موكب "السبايا" دخل الشام من طريق بعلبك.

كان طاغية آل أبي سفيان وبني أميّة "يزيد بن معاوية" ينتظر وصول الموكب، وقد جلس في "مَنظرة"، أي مجلس ملوكيّ معدٍّ على مكان مرتفع، لِيَشفي غيْظ قريش والشيطان وبني أميّة وآل أبي سفيان من رسول الله ﷺ، وعندما رأى الرؤوس على الرماح - وفي مقدِّمتها رأس الإمام الحسين، الذي قال فيه رسول الله: **أحبَّ الله مَن أحبَّ حسيناً. ما لي وليزيد، قاتل الله يزيد** - استبدّ الوجْد والطرب ونشوة النصر بحفيد هند آكلة الأكباد، فترنَّم قائلاً:

لمّا بَدَت تلك الرؤوس وأشرقت ... تلك الشموس من ربى جيرونِ
نعب الغراب فقلت صِح أو لا تصِح ... فلقد قضيت من النبيّ ديوني.

وقد ثبت أنّ يزيد لعنه الله، تَمَثَّل - في وقت آخر - بعد دخول "السبايا" إلى الشام بأبيات لشاعر يُعرف بـ "ابن الزِّبعرى"، وزاد فيها يزيد ما يؤكِّد كفره.

والأبيات طويلة، منها:

لعِبَت هاشم بالمُلك ... فلا خَبر جاءَ ولا وحيٌ نَزَلْ
ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جَزَع الخزرج من وَقْع الأَسِلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشَلْ.

وكان الطاغية قد أمَرَ بتزيين دمشق فرحاً باستيفاء ديون قريش، وهند، وأبي سفيان، ومعاوية من رسول الله ﷺ.

يحدّثنا عن هذه الزينة، الصحابيّ سهل بن سعد، وهو شاهد عيان لِما جرى في الشام عند وصول موكب رسول الله ﷺ، في ما سمَّاه النظام "موكب السبايا"، وقد حفظت المصادر شهادة هذا الصحابيّ كما يلي:

قال: خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطَّردة الأنهار، كثيرة الأشجار، وقد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشِرون، وعندهم نساء يلعبْنَ بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: هل نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن!

فرأيتُ قوماً يتحدّثون فقلت: يا قوم، لكم بالشام عيدٌ لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك أعرابيّاً. فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت محمّداً ﷺ. قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها.

قلت: ولِم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الحسين عِترة محمّد ﷺ، يُهدى من أرض العراق.

فقلت: واعجباً، يُهدى رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون.

وقلت: من أيّ باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات.

قال: فبينا أنا كذلك، حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً. فإذا نحن بفارس بيده لواء منـزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ، ورأيتُ من ورائه نسوةً على جِمال بغير وطاء، فدنوْتُ من أولاهم فقلت: يا جارية مَن أنتِ؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين. فقلت لها: ألكِ حاجة إليّ؟ فأنا سهل بن سعد ممّن رأى جدّك وسمعتُ حديثه. قالت: يا سعد، قُل لصاحب هذا الرأس أن يقدِّم الرأس أمامنا، حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ. قال سهل: فدنوْتُ من صاحب الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال: ما هي؟ قلت: تُقدِّم الرأس أمام الحرم. ففعل ذلك، فدفعتُ إليه ما وعدتُه.

ووُضِع الرأسُ في حُقة (إناء)، ودخلوا على يزيد لعنه الله، فدخلتُ معهم، وكان يزيد جالساً على سرير، وعلى رأسه تاج مكلّلٌ بالدرّ والياقوت. وحوله كثيرٌ من مشائخ قريش، فلمّا دخل صاحب الرأس وهو يقول:

أَوْقِرْ رِكابي فِضّةً وذَهبا ... أنا قتلت السيّدَ المُحجّبا
قتلتُ خيرَ النَّاس أمّاً وأباً ... وخيرَهم إذ يُنسبون النسبا

قال: لو علمتَ أنّه خير الناس لِمَ قتلتَه؟ قال: رجوتُ الجائزة

منك. فأمرَ بضرْب عنقه، فخُرَّ رأسه، ووُضع رأس الحسين عليه السلام على طبق من ذهب، وهو يقول: كيف رأيتَ يا حسين؟ انتهى.

وقد ذكر صاحب كتاب (الكامل البهائي) خبر الصحابي سهل بن سعد وأورد فيه: **ورأيتُ الرؤوس على الرّماح ويقدّمهم رأس عباس بن عليّ عليهما السلام، ورأسُ الإمام عليه السلام كان وراء الرؤوس أمام المخدَّرات، وللرأس الشريف مهابةٌ عظيمة، ويُشرق منه النور بلحية مُدَوَّرة، قد خالطها الشَّيْب، وقد خُضِبَتْ بالوسْمة (نبات يصبغ به الشعر ليسْوَدّ)، أدعجُ العينين، أَزَجُّ الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف، متبسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره إلى نحو الأفق، والريح تلعبُ بلحيته يميناً وشمالاً كأنّه أمير المؤمنين.**

ثقافة يوم الزِّينة

كانت "دمشق" آنذاك عاصمة الدولة الإسلاميّة المترامية الأطراف، التي تشبه في عصرنا ما يسمّى بـ "القطب الأوحد"، وكان النظام الأمويّ حريصاً على نشر ثقافة يوم الزِّينة الفرعونيّ الأمويّ، لأنّه رأى فيه نصراً تاريخيّاً على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعمل على أن يكون "يوم الزِّينة" في استقبال "السبايا" من آل بيت سيّد النبيّين، مَفصَلاً يؤسِّس لاستمرار الإمبراطوريّة الأمويّة التي تتظاهر بالإسلام، وهي مقيمة على عبادة "اللاّت" و"عُزّى"، و"هُبَل" في خطّ "دار الندوة"، وفرعون قريش "أبي جهل" الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعتى من فرعون موسى»، وفي خطّ أبي سفيان وحروب قريش بقيادته في بدْر وأُحُد والأحزاب وغيرها. ألم يقل أبو سفيان: تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ثَمَّ ولا نار، وإنّما هو المُلْك!!

وقد عمل بنو أميّة على نشر ثقافة "يوم الزِّينة الفرعونيّ" في المجالات التالية:

١- اعتبار يوم عاشوراء عيداً. يقول أبو ريحان البيروني في (الآثار الباقية) بعد ذِكر ما جرى على الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: "فأمّا بنو أميّة، فقد لبسوا فيه ما تجدّد، وتزيّنوا، واكتحلوا، وعيّدوا، وأقاموا الولائم، والضيافات، وأطعموا الحلاوات والطيّبات. وجرى الرسم في العامّة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم. وأمّا الشيعة، فإنّهم ينوحون، ويبكون أسفاً لقتل سيّد الشهداء فيه ..". ويقول المقريزي - بعد أن ذكر أن العلويّين المصريّين كانوا يتّخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق-: "فلمّا زالت الدولة، اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسّعون فيه على عيالهم، وينبسطون في المطاعم، ويتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحِلون، ويدخلون الحمّام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنّها لهم الحجّاج في أيّام عبد الملك بن مروان، ليرغموا به آناف شيعة عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، الذين يتّخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن عليّ عليه السلام، لأنّه قُتِل فيه". قال: "وقد أدركنا بقايا ممّا عمله بنو أيّوب من اتّخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسّط".

وقال الأستاذ حسن السَّقّاف: "في سبيل إطفاء شعلة عاشوراء، ودفن قضية كربلاء، لجأوا إلى اختلاق أخبار جعلوها أحاديث، ونسبوها إلى جدّ الحسين عليه السلام. إلاّ أنّ عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكّام، جعلها متخالفة متضاربة. أتوا بهذه الأخبار العظيمة والكثيرة العدد بغية دفن قضيّة كربلاء، ولكن فشلوا وبقيت قضيّة كربلاء على ما هي عليه، القضيّة العظيمة جداً، استحلال دم الحسين عليه السلام.

وقد أصاب الشريف الرضيّ رضي الله عنه في وصف هذا الأمر إذ قال:

كانت مآتم بالعراق تعدّها أمويّة بالشام من أعيادها
جعلت رسول الله من خصمائها فَلَبِئس ما ادّخرت ليوم معادها
نسلُ النبيّ على صِعاب مطيّها ودم النبيّ على رؤوس صعادها".

٢- أن تكون الزِّينة تاريخيّة نوعيّة، لم تشهد عاصمة الأمويّين نظيراً لها، فقد نُشِرت "المرايا" في الشوارع، ونُصِبت ستائر الديباج وغيره، وأُجريت التدريبات على مراسم احتفاليّة خاصّة تُقام في أماكن محدّدة، يبدو أنّ ذروتها كان قريباً من المسجد الأمويّ، في الساحة التي تعرف لليوم باسم "النَّوْفرة". هناك، وقرب بقايا آثار مسجد في جنبها الشرقيّ، تذكُر بعض المصادر أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام "سقط إلى الأرض"، ولعلّ السبب في ذلك الألعاب البهلوانيّة، والضرب بالطبول، وغيرها من المراسم التي أُريد لها أن تكون تأسيساً لِما يأتي.

٣- تمّ تصنيع بعض الأدوات "الملوكيّة" الخاصّة، من قبيل "الطشت" الذي وُضِع فيه الرأس الشريف، والعصا التي ضَرب بها يزيد وجه الإمام وثناياه بالخصوص.

٤- كان ضمن الخطّة أن تطلق أسماء، هي بمثابة أوسِمة على أبرز الذين شاركوا في تصنيع هذه الأدوات، أو شاركوا في رحلة السبي عموماً.

* قال العالم الجليل الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، وهو من طرابلس الشام، وأدرى بشعابها:

"وجعلوا ما فعلوه سِمة لأولادهم. فمنهم في أرض الشام: بنو السراويل، وبنو السَّرج، وبنو سنان، وبنو الملحيّ، وبنو الطَّشتي، وبنو القضيبيّ، وبنو الدّرجيّ.

* أمّا بنو السراويل: فأولاد الذي سلب سراويل الحسين عليه السلام.

* وأمّا بنو السَّرج: فأولاد الذين أُسرجت خيله لدَوْس جسد الحسين عليه السلام، ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر، فقلِعَت نعالها

من حوافرها وسمِّرت على أبواب الدُّور ليُتَبَرَّك بها، وجرت بذلك السنّة عندهم، حتى صاروا يتعمّدون عمل نظيرها على أبواب دور أكثرهم.

* وأمّا بنو سِنان: فأولاد الذي حمل الرمح الذي على سنانه رأس الحسين عليه السلام. [ما ينبغي التنبّه إليه: ليس كلّ من كان من آل سنان، فهو من نسب هذا الملعون، فهناك بطن من قبيلة اسمه سنان، كما أنّ من شيوخ الشيخ الصدوق "السناني" الذي يترضّى عليه. وقد كانت التسمية بـ"سنان" منتشرة جداً كما يظهر من مصادر الأنساب، كما أنّ الفرق كبير بين السنان بكسر السين والسناني بفتحه، فالثاني جمع لمفردة طائر "السنونو". فليلاحظ].

* وأمّا بنو المكبّري: فأولاد الذي كان يُكبِّر خلف رأس الحسين عليه السلام، وفي ذلك يقول الشاعر:

ويكبِّرون بأن قُتِلت وإنّما قتلوا بك التكبير والتهليلا.

* وأمّا بنو الطَّشتي: فأولاد الذي حمل الطَّشت الذي تُرك فيه رأس الحسين عليه السلام، وهم بدمشق مع بني الملحي معروفون.

* وأما بنو القضيبي: فأولاد الذي أحضر القضيب إلى يزيد لعنه الله، لنكت ثنايا الحسين عليه السلام.

* وأمّا بنو الدّرجي: فأولاد الذي ترك الرأس في درج جيرون".

٥- تعميم النظام على سائر مناطق العالم الإسلاميّ، ممارسات تثبت ثقافة التشفّي من أهل البيت ورسول الله صلى الله عليه وآله.

من ذلك أمور تحدث عنهما الكراجكي وغيره.

الأوّل: التبرُّك بالخيل التي داست صدر الإمام الحسين عليه السلام. ومسألة رضّ الصدر الشريف ثابتة لا نقاش فيها، وممّن أوردها الطبري في تاريخه.

الثاني: التبرُّك بنعال حوافر هذه الخيول (النَّضوات)، فقد تقدّم في كلام الكراجكي، قوله: **ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر، فقلعت نعالها من حوافرها وسمِّرت على أبواب الدُّور ليتبرَّك بها، وجرت بذلك السنّة عندهم حتى صاروا يتعمَّدون عمل نظيرها على أبواب دور أكثرهم.**

وما تزال هذه البدعة الأمويّة باقية إلى اليوم، ونجد في لبنان - مثلاً - مَن يُعلِّقون على أبواب بيوتهم خرزات زرقاء، مع شكل نعل فرس (نضوة) وهم لا يعلمون أنّ ذلك من بقايا ورواسب الكفر الأمويّ!

الثالث: بدعة لعبة شعبيّة في أجواء عاشوراء، تقوم على حمل رأس حيوان!! على خشبة، والدوران بها في الشوارع والأزقّة في جمع من الأطفال أو غيرهم، أو تقاذف الرأس بالأرجل كالكرة!!

* قال "الكراجكي" قبل نصّه المتقدّم من كتابه (التعجُّب): "ومن عجيب ما سمعتُه أنّهم في المغرب بمدينة قرطبة، يأخذون في ليلة العاشوراء رأس بقرة ميتة، ويجعلونه على عصا، ويُحمل ويُطاف به في الشوارع والأسواق، وقد اجتمع حوله الصبيان يصفِّقون ويلعبون، ويقفون به على أبواب البيوت ويقولون: يامسي المروسة، أطعمينا المطنفسة - يعنون القطائف - وأنّها تُعدّ لهم، ويكرمون ويتبرّكون بما يفعلون.

وحدَّثني شيخ بالقاهرة من أهل المغرب، كان يخدم القاضي أبا سعيد ابن العارفي رحمه الله، أنّه كان ممّن يحمل هذا الرأس في المغرب وهو صبيّ في ليلة عاشوراء، فرأى هذا من فرط المحبّة لأهل البيت عليهم السلام! وشِدّة التفضيل لهم على الأنام.

وقد سمع هذه الحكاية بعض المتعصّبين لهم، فتعجّب منها وأنكرها، وقال: ما يستجيز مؤمن أن يفعلها، فقلت: أعجب منها حمل رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام على رمحٍ عالٍ، وخلفه زين العابدين عليه السلام مغلول اليدين إلى عنقه، ونساؤه وحريمه معه سبايا مهتكات على أقتاب الجمال، يُطاف بهم البلدان، ويُدخل بهم الأمصار التي أهلها يظهرون الإقرار بالشهادتين، ويقولون إنّهم من المسلمين، وليس فيهم منكِر، ولا أحد يَنْفُر، ولم يزالوا بهم كذلك إلى دمشق.

وفاعلو ذلك يظهرون الإسلام، ويقرأون القرآن، ليس منهم إلاّ مَن قد تكرّر سماعه قول الله سبحانه: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾، فهذا أعظم من حمل رأس بقرة في بلدة واحدة. ومن عجيب قولهم: إنّ أحداً لم يُشر بهذا الحال..".

كان هذا في عصر العلاّمة الكراجكي في القرن الخامس الهجريّ.

وفي هذا القرن الخامس عشر الهجريّ، ما تزال بقايا الأفراح الأمويّة والبِدَع - التي روّج لها يزيد، وآل أبي سفيان، وسائر بني أميّة - قائمة في الشام ولبنان إلى يومنا هذا.

ولعلّ الذين يقومون بهذه الأعمال يجهلون أساسها وأهدافها، كما مرّ آنفاً عن المغربيّ الذي أخبر الشيخ الكراجكي بأنّه كان يمارس تلك اللعبة البدعة، ويظنّ أنّها تعزّز مكانة أهل البيت عليهم السلام.

* من بقايا تلك البِدَع الأمويّة، ما كان يحصل في الشام إلى سنة ١٤٢٩ هجريّة، ما حدّث به ثقة من فضلاء منطقة حلب، وهو أنّ عادة أهل تلك المنطقة أن يتداعوا من القرى القريبة إلى اجتماع باسم "الفرجة"، وتُقام ألعاب مختلفة بالأفاعي، والقرود، وغير ذلك. ومن "مراسم" هذه الفرجة أن يُؤتى برأس ماعزٍ له "لحية"، تكون في وسط هذا الحشد وتتقاذفها أرجلهم كالكرة.

وقد تمّ منع هذه "الفرجة" الأمويّة في السنوات الأخيرة.